سياق المعلومة و مقصدية الإخبار في المتن الشارح

د فوزية بوكايس
جامعة طاهري محمد – بشار-الجزائر

ملخص:

إنّ سيّاق المعلومة يزدوج إلى شقين : شق يؤديه النص بالإيجاز و التلميح من غير أن يبسطه لأنّ عُرف الشعر لدى البلاغيين أو لدى الشعراء يتعارض من مسألة الطول و الإطناب و الإسهاب و الاسترسال وشق يؤديه و يبرزه سياق الشرح قصد الإعلام به وتقديمِه للإخبار . إنّ بسْطَ الشَّارح للمعلومة يُقَوِّضُ من اجتهاد المتلقي في تخريجها، نتيجة كونها تقريرية يستغلق معناها وحتى عملية ترابط المعاني ضمن سياق البيت لا تقدّم له شيئا قصد شرحها لأن المعلومة تقتضي المعرفة المُسبقة لكونها تابعة للسياق الخارجي الذي تشكل منه النص الشعري .

الكلمات المفتاحية: المعلومة ، السياق ، التلميح ، الإيجاز

سياق المعلومة ومقصدية الإخبار :

ترد لفظة: "**المعلومة** "في اشتقاقها من العلم والإعلام لكونها تُعْلِمُ المتلقي بما لا يعلمُهُ ومن ثم فتخريجها يرد في النحو الآتي :(و علم به ..شعر و العلم والمعرفة والشعور كلها بمعنى واحد...إنما يتعدّى بالباء لأنه يراعى فيه أحيانا معنى الإحاطة...إن المعرفة علم لعين الشيء مفصّلا عما سواه بخلاف العلم فإنه يتعلّق بالشيء مُجْملا

..وأعلمه إياه فتعلّمه وهو صريح في أن التعليم والإعلام شيء واحد .. قال الراغب إلا أن الإعلام اختص بإخبار سريع والتعليم اختص بما يكون بتكرير وتكثير حين يحصل منه أثر في نفس المتعلِّم وقال بعضهم التعليم تنبيه النفس لتصوّر المعاني ..وربما استعمل في معنى الإعلام إذا كان إذا فيه تكثير ...والمَعْلَمُ ما يُستدلُّ به على الطريق من الأثر...وتعالمه الجميع أي علموهُ والأيام المعلومات عشر من ذي الحجة آخرها يوم النّحر ... ويُقال استعلمني خبرُ فلان فأعلمته إياه ... ومَعْلم الطريق دلالتُه ..والوقت المعلوم القيامة)[i].

إن حضور المعلومة لا ترد ضمن سياق البيت الشعري إلاّ ضيقة حَرِجَة، إذ ينهض اضطرار الشّارح على بسطها على عكس ما يتوقع المتلقي والمعلومة تتأتّى في ضيق ضمن السياق الشعري نتيجة تعارض الشعر معها لأن المعلومة من العلم وعملية التوسُّع في تفاصِيلها تُرْبِكُ بناء الشعر،لأن «المسائل العلمية يُسْتَبْرَدُ إيرادُها في الشعر أكثر الناس ولا يستطيب وقوعها فيه....وأنه فعل نقيض ما يجب في الشعر...أما العلم فلا يثبت أيضا للشاعر بأن يودع شعره معاني منه»[ii]، وعليه فإن وضعية حضور المعلومة في الشعر، أنها ترد ضمن حال المُناسبة بينها وبين مُقتضَى التخييل الشعري، وعليه ما يتوخاه النّهْجُ الشعري منها أن تكون جُزئيةً بحيث لا تتوسّع كُليّةً، ومن ثم فإن التلْميحَ إليها في الشعر بعامّة يأتي خفيّا.

ومِمّا يتضّح من هذا كُلّه ، أنّ بسْطَ الشَّارح للمعلومة يُقَوِّضُ من اجتهاد المتلقي في تخريجها، نتيجة كونها تقريرية يستغلق معناها وحتى عملية ترابط المعاني ضمن سياق البيت لا تقدّم له شيئا قصد شرحها لأن المعلومة تقتضي المعرفة المُسبقة لكونها تابعة للسياق الخارجي وهي أحد مكوِّناته الدائمة، و عليه فعملية بسْط المعلومة من مثاقفة الشارح تحجب لدى المتلقي فعل التأويل، و من هنا نخلص إلى أنّ المعلومة تُبطل توجُّه المتلقي في التحرّك حيث لا يسْعى المتلقي أن يُقدم شيئا في حرية من التحرك . إن المعلومة لدى الشارح هي إيضاحٌ لكثير من التفاصيل

الخفيّة التي يَغفلُها المتلقي، وتلك عمليّةٌ لا تتسنّى له إلاّ من مثاقفة الشارح حين يبسط له تفاصيلها في حاشيته، وذلك عبر كثير من النصوص النثرية التي تسهم في إنجازها الكثير من الأسانيد المرويّة.

إنّ سيّاق المعلومة الذي يؤديه الشارح يُوقِفُ تَوَجُّهَ المتلقي في إطلاق التأويل؛ ذلك أنّ المعلومة منعدمة الدلالة وعلى هذا الأساس يصطدم المتلقي بحرفيّتها التجريدية لدى الشارح و بالتالي يسقط أي قصد يتوخاه المتلقي في قراءة البيت .ولبسط مثل هذا الطرح يؤدي الأمر إلى الأخْذ بهذه الشّواهد الشعرية :

مُقَرّنُ أفْرَاسٍ لهُ برَواحِلٍ فَغَاوَلنهُم مسْتقبِلاَتِ الهَواجِرِ[iii]

و غير بعيد عن طبيعة هذا السيّاق، يوردُ الشاعرُ: "**مَقَّاسُ العَائِذِيُّ**" في مفضليته هذه المعلومة في النحو الآتي:

أَوْلى فَأولَى يَا امْرَأَ القيسِ بعدمَا خَصَفْنَ بآثَارِ المَطِيِّ الحَوَافِرَا[iv]

إِثْرَ رجوع المتلقي إلى حاشية الشرح يدرك قصد الشاعر، و في ضوء ذلك يحصل له فهم البيت مثلما يقتضي السياق . و بالتطرُّق لما يذهب إليه بيت الشاعر: "**المُزَرِّدُ أخو الشَّمَّاخِ**":

وَعَينيْ مهاةٍ في صُوارٍ مَرَادهَا رِيَاضٌ سَرَتْ فِيْها الغُيوثُ الهَوَاطِلُ[v]

تبدو المعلومة في البدْء سطحِيّة خطيَّة لا تتطلب أي تخمين غير أنّ الشارح سرعان ما ينقُضُ أفق المتلقي حين يفتتح شرحه للفظة "**الغُيُوثُ**" .

إنّ سيّاق المعلومة هنا ورد خفيّاً لا يؤدّيه إلاّ الشّرح حيث أورده الشّارح على النحو:

تزامنُ سقوط المطر مع الليل ←يحمد حضوره في عرف العرب.

إضافة إلى هذا يرد سيّاق المعلومة أيضا بوصفه نصّاً تجريديا كأن يُقدّم الشاعر المعلومة نتيجة خبرته بالحياة تماما كما يقدمها الشاعر "**أبو ذُؤَيْب الهُذَلِي**":

و إذَا المنيّةُ أنْشَبَتْ أظفارَهَا ألفَيتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لاَ تنْفَعُ[vi]

إن القصد المُتوخَّى من البيت هو حتمية الموت و الفناء و الفراق، وعليه فالمعلُومةُ التي قدَّمها **أبو ذُؤَيْب** تُفصِح عن المعنى من سياقه الأنثروبولوجي لدى قدامى العرب في مواضعة طقوسهم لتحاشي الهلاك، وبذا فإنه أوردها و كَرَسَ سيّاقها للإقناع الجاهز، وعليه يكون سيّاق المعلومة قطعيٌّ في التصور حين يورده الشاعر من غير مواربة و هو أقرب إلى منطق الحكمة.

إذن، فالمعلومة سيّاق مكثَّف، إمَّا أن تؤديه اللغةُ بالتجريد أو تَسْلكُهُ البلاغة بالمجاز و من ثم يمكن أن نُصَنِّفَ المعلومة إلى نوعين :

1- معلومة تعزّز فعل الإخبار نتيجة قدَمها ⟵ تؤدي إلى إقناع جاهز.

2- معلومة تؤدّي فعل الإحداث في حضورها ⟵ تُنتجُ معرفة مُحْدَثةً.

و ضمن مفضلية الشاعر: "**عَلْقَمَة بن عَبْدَة**"، حين يذهب في قوله:

ظلَّتْ تَرقْرقُ في الناجُودِ يَصفقُهَا وليدُ أعجَمَ بالكتَّانِ مَفْدُومُ [vii]

هنا لا تتضح مقاصِدُ الشاعر، غير أنّه يُباغتُنا إثر إجراء بسطه لمفردة: "**مَفْدُومُ**"،إذ تسوقنا عمليّةُ الشارح لها إلى معلومة غَابِرة تعني: "الخرقة التي يشدُّها الغلام السَّاقِي على فِيهِ . وهذا من زيّ الفُرْسِ . لحظة سِقَايته للقوم لئلاَّ يخْرُج شيْءٌ من فِيهِ فَيصِلَ قَدْح السِّقايَةِ"[viii] . إزاء هذا الإجراء من التوسُّع الشَّارِحِ لمثل هذه المعلومة التي أرادها الشاعر "**علقمَةُ بن عَبَدَةَ**" ما كان لأي متلقٍّ أن يباشر كُنْهَ لفظة: "**مَفْدومُ**" وعلى هذا النحو من التوسُّع للكلمات تتم المعرفة ويتأتّى للمتلقي بذلك تذليل الصّعْبِ من التخريج، فيتّضِحَ ما خَفِيَ، فيبْسِطُها الشّارِحُ

لتوضيح مقاصد الشعراء لأن غياب الإلمام بمكنُونِ المعلومة هو فراغ يظل يراوح مكانه ويُنْذِرُ في الوقت ذاته بانْحرافِ دلالة سياق البيت بالكامل، وهذا ما يحدث لدى من يغيّبُ مثاقفة الشارح لسياق النص الشعري.

والأمْرُ نفسُه يكرّرُ حضُورَه عند شرح صيغة: "**ذِي الأَعْوَادِ**" وفق ما يذهب إليه قول الشاعر"**الأسْود بن يعفُر النَّهْشَلِيُّ**" :

ولَقَدْ عَلِمْتُ سِوَى الذي نَبأْتنِي أنَّ السَّبِيلَ سَبيلُ ذِي الأعْوادِ [ix]

إن صيغة " **ذي الأَعْوادِ** " إشارة إلى قدريّة الموت بوصفها حتمية لكل حيٍّ، غير أنَّ الأعواد ذاتها وردت وهي تحمل دلالة عميقة بوصفها قرينة، و شفرة تلخّصُ تفصيل المعلومة وهو ما يسلكُهُ الشاعر منها كونها هي : ما يحمل عليه الميّت لدى البوادي بضمّهم الأعواد إلى بعضها مُشكّلين حاملا للميّت؛ وهنا يتضح أنّ ما وراء المعنى الخَطّي يتحرّكُ الشارح للإبانة عن ما يشمله من تفصيل قصد الإخبار به وهو ما يمثل فحوى المعلومة المقصودة التي يسلكها سياق البيت الشعري.

أما الشاعر "**الجُمَيْحُ**" في مفضليته يقدم مسلكا لسياق معلومة أُخرى ضمن بيته الآتي :

أمَا إذَا حَرَدتْ حَرْدِي فَمُجْرِيةٌ جَرداءُ تمنعُ غيلاً غيرَ مقْرُوبِ [x]

في سياق خفي غير صريح يشبّه الشاعر امرأته إذا خاصَمتْهُ باللّبُوءة ذاتُ الجِراءِ، أما المعلومة التي انتهى الشارح إليها تتمثّلُ في أنّ اللّبُوءة ذات الجِرَاء تكون "أنْزَقَ حيوانٍ وأشدَّهُ غضبا"[xi] وعليه لم نتمكّن من إدراك سياق الإخبار بمثل هذه المعلومة إلا بعودتنا إلى الشّرح . تماما كما نجد مُبْتغَانا في شرح بيت الشاعر "**الحَادِرَة**" حين يقول :

أودَى السِّفارُ برِمِّهَا فَتَخَالُها هِيمًا مقطَّعةً حِبَالُ الأذرُعِ[xii]

إن سيّاق المعلومة ورد هنا خفيا يبسطه ويوضحه الشّارح على الشكل التالي: "الهِيمُ داءٌ شبيه بالحُمَّى يُصِيبُ الإبل من شَهوتها للماء حيث تشرب فلا تُرْوى مما يستدعي فصْدَ عِرْقٍ لها فيبْردُ ممّا تَجِدُ"[xiii].

مما يتضح من هذا أن المتلقي حين يباشر قرينة المعلومة لا يتأتّى له استحضار مُجمل التفصيل للمعنى إلا برجوعه إلى ما ينثره الشرح لأن المعلومة في الواقع غير موحية حتى يُسْهِمُ المتلقي في تأويلها ومن ثم فهي ليست رهن تكوينها المستقل من غير أن تؤديها مرجعية تقريرية لا يعلمُها سوى من خبِرَ تفصيلها ولعل هذا مما يستدعي الشارح كي يعرِّضها للإحالة من الأسانيد المروية أو المحكية فيوثقها وفق الحال المقْصُود التي تواضع عليها فعل الإخبار عن حقيقتها أو أنه يقرِّبها من سياق الخطاب القرآني في وصف الله لمشهد شراب أهل النار،بِ :"**شُرْبَ الهِيم**"* وهذا كي يباشر سياق البيت أكثر عبر هذا المقترب من المماثلة، وغير بعيد عن هذا السيّاق يؤدي الشارح في موضع آخر بسطه للفظة "**الفَصِيدُ**" الواردة بمفضلية: **عبدُ الله بنُ عَنَمَةَ الضَبِّيُّ**:

فَباتَتْ تُعشّيه الفَصِيدَ * وأصْبحتْ يُفزَّعُ منْ هَوْلِ الجنَانِ فؤادُهَا[xiv]

إن صيغة: " **باتتعشّيهِ الفَصِيدَ** " الواردة ضمن سياق البيت هي تلميحٌ هجائي وسِمةُ مَنْقَصَةٍ يُعَيَّرُ به قومٌ من العرب نتيجة البخل أو الفقر استنادا لما ورد في الشرح: "حيث كان قوم من العرب يُطعِمون الضَّيفَان دمَ الفَصِيد فَيُعيّرُون به"[xv] ولعلّ مثل هذا القصْد الذي توخّاهُ الشاعر لينتج منه فعل الإخبار وكذا الإشهار ولعلّ هذه

* {**فشَاربُون عليهِ من الحَمِيم.فشَاربُون شُربَ الهِيمِ**]، سورة الواقعة، الآية : 56.

* الفصيد : شق العرق وفصد الناقة شق عرقها ليستخرج دمه فيشربه . الفصيد: دم كان يوضع في الجاهلية في معى من فصد عرق البعير ويشوى وكان أهل الجاهلية يأكلونه ويطعمونه للضيف في الأزمة .

. ينظر، ابن منظور، لسان العرب دار صادر بيروت ، . مادة/ فصد الجزء الثالث، ص/336.

. ينظر، الزبيدي(مُحَّد مرتضى)، تاج العروس من جواهر القاموس، مج/02، ص/ 453، مادة/ فصد، (فصل الفاء من باب الدال).

الصيغة . خاصة لمن يفقه السِّياق المُوسّع لطقس الفصيد . تدخل ضمن التواصل اليومي في مواضعة العرب القدامى إذ الهدف منها التأثير فيمن يتلقاها ومن ثم فهي معلومة تنهض على حمولة التشهير وإشاعة الإخبار بمن يتصف بها وعليه فالشارح حين يجرِّدها من السياق وينثر تفاصيلها تعود إلى السياق الأصلي وتخرج إلى تكوينها الأصلي في هيئة إنجاز مستقل وكأن صيغة : " **بَاتَتْ تُعَشّيهِ الفَصِيدَ** " هي سياق مُمَارسَةٍ يتمُّ في الواقع، حيث، «الرسالة في التواصل العادي تتميّز بتفاعل يسعى إلى جعل محتواها متجانسا مع الصور الإدراكية التي يتوفّر عليها المصدر، كما أنها بحكم هذا التفاعل أيضا تخضع لتوجيه معيّنٍ من طرف المقصد ...هذا إلى جانب أنها رسالةٌ خَاضِعةٌ إلى تفاعلٍ مرتبط بزمن وفضاء واقعيين، ولذلك فإنها تنْمَحي بمجرّد تحقق عملية التواصل، أي بمجرّد غياب السياق الذي تمت ضمنه. في حين أن الرسالة في التواصل الشعري تتضمّنُ تفاعلا كامنا داخلها وذلك لأنها رِسالةٌ مؤَوِلةٌ لواقع معيّنٍ وليست ممثّلة له. ومعناه أنها تحتاج من المقصد إلى تأويل آخر يوازي التأويل المصدر»[xvi] وتأويل المصدر يكاد يختصُّ به الشارح لأنه يرتكز على عملية تحويل ما هو مكثف في مجاز الخطاب الشعري القديم إلى الحضور الواسع والواضح، حيث المعلومة في وضوحها ووجودها الأصلي بشكل مجرّد في السلوك اليومي ضمن السياق الخارجي.

إنّ سيّاق المعلومة يزدوج إلى شقين : شق يؤديه النص بالإيجاز و التلميح من غير أن يبسطه لأنّ عُرف الشعر لدى البلاغين أو لدى الشعراء يتعارض من مسألة الطول و الإطناب و الإسهاب و الاسترسال و شق يؤديه و يبرزه سياق الشرح قصد الإعلام به وتقديمِه للإخبار.

إن سياق المعلومة في النص يتشكّلُ في الدال الشعري، في حين أنّ المعلومة في الشرح تتهيّأ في المدلول الشارح.

النص ⟵ الدال ⟵ تجميع

الشرح ⟵ المدلول ⟵ تفكيك

ولعلّ هذا، ما التفت إليه **عبدُ القاهرالجُرْجَانِي**،حين اهتدى إلى عملية الأخذ بأَضْرُب الكلام، إذ إنّه ينقسم إلى شقين فمنه ما يأتي وفق قَصْديَّةِ المتلقي في السياق الخارجي حيث تداولية الخطاب اليومي في الحقيقة الخارجية وقسم منه يرد حسب قَصْدِيِّةِ الشاعر ضمن سياق النص الشعري حيث المجاز والانحراف والانعطاف عن حرفية الحقيقة، وعليه فالكلام بالنسبة له : « على ضربين : ضرب أن تصل إليه إذا قصدت أن تُخبر عن زيد مثلا بالخروج على الحقيقة فقلت خرج زيدٌ: وبالانطلاق عن عَمْرو وقلت: عُمْرو مُنْطِلقٌ : وعلى هذا القياس وضربٌ آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض ومدار هذا الأمر على الكِناية والاستعارة والتمثيل ...أو لا ترى أنّك إذا قُلْتَ: هو كَثيرُ الرَّمَادِ ، أو قُلتَ: طويل النِّجَادِ، أوقُلْتَ في المرْأة: نؤومُ الضُّحى فإنّك في جميع ذلك لا تفيد غرضك الذي تعني من مجرّد اللفظ ولكن يدلّ اللفظ على معناه الذي يوجبُهُ ظاهرُهُ ثم يعقل السامع من ذلك المعنى على سبيل الاستدلال معنى ثانيا هو غرضُك كمعرفَتِك من كَثِيرِ رَمَادِ القِدر أنه مِضْيَافٌ ومن طَوِيلِ النِّجادِ أنّهُ طويل القامة ومن نَؤُومِ الضُّحىَ في المَرْأة أنها مُتْرَفةٌ مَخْدُومَةٌ لها من يكفيهَا أَمْرَهَا.» [xvii]، في ضوء هذا الطرح يمكن أن نُحدث تقْرِيباً بين ما يهيّئُهُ الشَّارح من منثُور الشَّرح لأبنية الشعر وسياق النص الشعري من حيث طبيعةُ تأليفهِ البلاغي وكثافة مجازه وبين هذين الضربين اللذين أتى إلى ذكرهما **الجُرجَانِي** بين خطاب الإخبار في حقيقته وخطاب الاستعارة في كثافة مجازه.

نسْتخلِصُ من جملة هذا،أننا نواجهُ ضربين من الكلام حسب ما انتهى إليه "**الجرجاني**" بين خطاب الحقيقة حيث السياق الخارجي وخطاب المجاز حيث سياق النص الشعري، ذلك لأن الشارح وهو يمارس عملية الشرح ينشر بناء

البيت وفق ما يتضمّنه من ألفاظ إلى مرجعية السياق الخارجي فينزِلُ بناءُ البيت الشعري إلى تلك الحقيقة التي ينهل منها معاني الألفاظ والتي تتأسّسُ في جوهرها من مواضعات الخطابات اليومية وكذلك التجارب وسياق المَرْويات والمشهور من وقائع أيام العرب وأبنية المأثور من خطاب الأمثال وخطابُ العجائب في ما يُتَدَاولُ من المَحْكِي، وكلّ هذا مما يشمله سياق الإخبار والإعلام ومن ثم فالعملية تتم لدى الشارح في إخراج نسق البيت الشعري من ضِيق التَّكْثيفِ المجازي إلى مُتّسع السياق الخارجي حيث تكْوينُه الأول الذي نتج منْهُ ومصدره الأصلي الذي تولّد من مكوّنهِ الإخباري وسياقه الإعلامي.

ولتبيان هذا نُقدِمُ مُقاربة أضْربِ الكلام لدى **الجرجاني . في ضوء الرأي السابق الذكر .** بحاشية الشارح ومتن النص الشعري في النّحو الآتي:

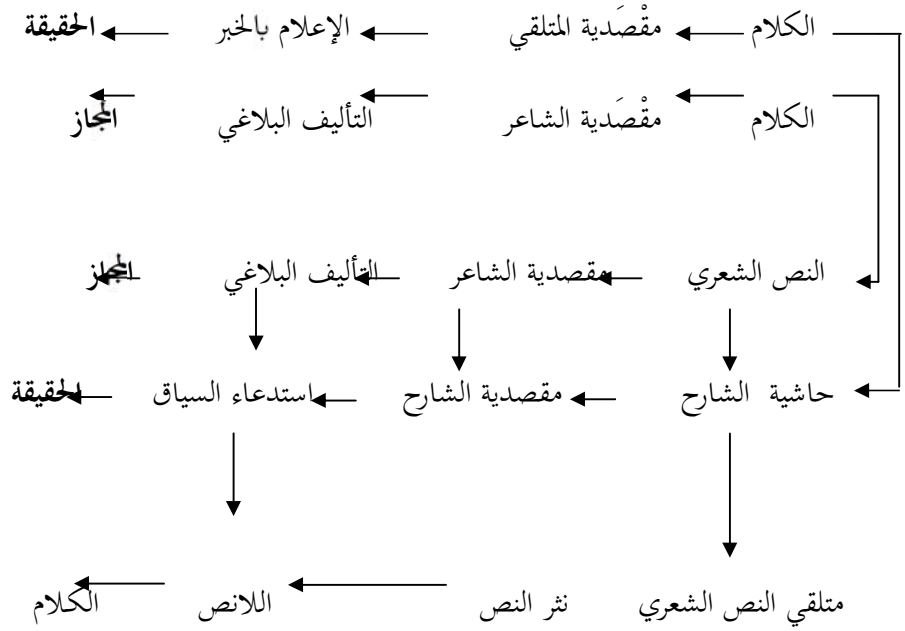

يأتي هذا الجانبُ من الطرح فيما نجده لدى الشاعر **أبو ذؤيب** في بيت من مفضليته نحو ما يذهب إليه:

متفلّقٌ **أنْسَاؤُهَا** عنْ قَانِيءٍ كالقُرْطِ صَاوٍ غُبْرُهُ لا يُرْضَعُ[xviii]

حين يُباشر الشّارحُ سياق هذا البيت يجده في مجملِه أنه يتأسس على لفظة محورية وعليه فهي لديه بمثابة الرّابط المُشترك لمجموع البيت لأن معناها يسقط على مجموع البيت، مما دعاه كي يتّخذ من لفظة" **الأنْسَاء**" جمع "**نَسَا**" مدخلا لنثر البيت وفق مصدرها في السياق الخارجي في هذا النحو من الشرح:" الأنْسَاءُ جمع نَسَا ، وهو عرق في الورك والفخذ. أراد أن موضع النَسَا انشق اللحم فيه فرقتين حتى بدا العرق، فاللفظ على النَسَا والمعنى على ما حوله.عن قانيء : أراد أن الضرع كان أبيضَ فاحْمَرَّ ثم دخله شيءٌ من سوادٍ فجعله قانئاً حين طال عليه العهدُ وذهب اللبنُ . و"عن": بمعنى "مع"، . كالقُرْط : شبّهه به لصِغَرِه. الصّاوي : اليابس. الغُبْرُ: بقيّةُ اللبن. أراد أنها ذَاوِيَةُ الضرْعِ لم تحمل زمانا فهو أشدُّ لها "[xix] مما يتضح أن الشارح نزّلَ مجموعُ البيت إلى معنى لفظة " **نسا**" ومن ثم فإن توسع سياقها إلى هذا القدر من التمدُّد قد مكّنَ مُجْمَل البيت في المقابل أن يُحمل على معنى الجزء منه إضافة إلى ذلك وفي ضوء ما سبق نجد أن البيت ينْشطِر إلى ضربين من البناء ، فالضّرب الأول هو تشكُّلٌ صريحٌ لا يكاد يختلف عما يتجاوب في السياق الخارجي:" **متفلّق أنْسَاؤُها عن قَانِئٍ** " لذلك وهو على هذا النحو لا يخرج عن صيغة خطاب المتكلّم في السياق الخارجي وهو يُشعر بالإخبار عن حال ضرع الفرس حين تفلّقت أنساؤها في حين يأتي الضرب الثاني "**كالقُرْطِ صَاوٍ غُبْرُهُ لا يُرْضَعُ**"مكتفا بمجاز التشبيه ومن ثم فهو يخرج إلى معنى آخر أكثر دلالة من حرفية معنى الضرب الأول من البناء الوارد في صدر البيت .

في حين نجد بيت الشاعر" **عبدُ الله بنُ سَلِمَةَ**" من مفضليّته الذي يذهب في قوله:

وَلَقَدْ أُدَاوِي دَاءَ كُلَّ مُعَبَّدٍ بِعَنِيَّةٍ غَلَبَتْ عَلَى التَّطِيسِ[xx]

مِمّا يتَّضِحُ من هذا البيت الشعري أنه لا يتّسِمُ بأيِّ مأخذٍ مجازي لذلك فهو مما يبدو في ظاهره أنه خطاب يؤدي رسالة إخبارية تحفل بالحرفية والسياق التواصلي ولو لا حضورها في سياق الخطاب الشعري فإن قصدية صاحبها وهو يؤدي هذا الخطاب يكاد يتجرّد من سياق التواصل الشعري نتيجة لما يتّصِفُ به من التجرُّد المجازي وتجرُّدُه إلى القصْدية الإشهارية في الحِذق من علم التداوي حسب ما يعرضه الشارح على هذا النحو و هو يفكّ معاني بعض الألفاظ :" المُعَبَّدُ: البَعِيرُ الذي جَرُبَ فذهب وبرُهُ، العَنِيَّةُ: أبوال الإبل تُطْبخُ مع أدويَّة أُخَرٍ، فيعالَجُ بها الجَرَبُ الذي قد أعْيَا، التَّطِيسُ: وهو الطَّبيب الحاذق."[xxi] وعليه ، فهو خطاب طِبِّي يخْبر عن داء ودواء وفي الجانب العام فهي معلومة تُشْهِرُ بحِذْقِ صاحبِها فيما أعيا الأطباء حين أتْعبهُمْ عُسْرُ الدّاء، لذلك فهو يقدم مشهدا بصفة «إدراكية مطابقة لواقع يريد أن ينقله إلى متلقٍّ ذي وجود فعلي، وذلك بأقْصَى ما يمكن من شرط المطابقة ....في تعامله مع الواقع وفي عملية نقله إلى المقصد. ولذلك فإن التفاعل بينه وبين المتلقي تفاعل آني مرتبط بمقام ذي حدودٍ مادّية مؤثّرة في الرسالة بشكلٍ مباشر وصريح»[xxii]، وذلك أن متلقي هذا الخطاب الشعري يتمثله وهو خارِجٌ من سياق خارجي لمتكلم يُقدِّمُ إشهارا لنفسه وحتى وإن ورد في صيغة شعرية فإن متلقيه يتمثله لشاعر طبيب، غير أن الشاعر يتعارض مع هذا القصد من الصنعة، ومن «يورد المعاني العلمية في كلامه من يورد التمويه بأنه شاعر عالم...أنّه فعل نقيض ما يجب في الشعر...وأما العلم فلا يثبُت أيضا للشاعر بأن يُودِعَ شعرَه معاني منه ...فأولى بمن هذه صفتُهُ أن يجعل موضوع صنعته مما يتّضح فيه حسن صنعته ويكون له تأثيرٌ في النُّفُوس وتحريك لها وحسن موقع منها من أن يجعل موضوع صنعته ما لا يَدُلّ، مع كونه لا يحرّك الجمهور ولا يتّضِحُ فيه إبداعُ الصّنعة.» [xxiii]، خلاصة هذا يقع لمن يتلقّى البيت على ظاهره وبِنَاءً عليه تنحرف مقصدية الشاعر وفق

مقصدية المتلقي، ذلك لأن مجال التلقّي بعامة يتبع ظاهر البيت غير أن الشارح يباغت المتلقي بما لا يتوقع، ذلك لأن الشرح يكاد يأخذ حيّز الطول أو التوسّع الذي يسقط عن رغبة الشاعر، لأن بلاغة الشعر تتعارض مع التوسع الذي يأخذه الإخبار أو الحكي أو الطول الذي يفصّل ومن ثم كانت بلاغة الكناية و الاستعارة تمارسان فعل التكثيف ولعل هذا هو المأخذ الداخلي الذي يكثّف من تشكُّل البيت الشعري مما دعا الشارح ـ بعيدا عن ظاهره ـ كي يأخذ تأويل بيت الشاعر" **عَبْدُ الله بن سلَمَة** " في هذا النحو: "وهذا البيتُ مَثَلٌ، أراد أنه يُداوِي حُمْق الأحْمق وعداوَةَ ذي الضَّغْنِ، بقُوّته وحِكْمتِه "[xxiv] في ضوء هذا التمثيل الذي تعْرضُهُ اللغة الشعرية، فإنّها قدمت انعطافا لتنفتح على قصدية أخرى ساهم الشرح في تقديمها في هيئة قراءة أو حكم من قراءة تأويلية وعليه فالشّرح في البدء تحرّك ظاهريا فعرض لنا مشهدا لخطاب يتضمن معلومة طبيّة لداء أعيا الأطباء وفي المقام الثاني انعطف إلى قلب حرفية البيت إلى تمثيل مارسته بلاغة الشعر في نمط من التوريّة وعليه أضحى ظاهر البيت الشعري مُخالِفاً لصُورته الأولى كي يتوجّه نحو مقصدية أخرى.

مما يتبيّنُ أن الشعر مُخالفٌ لعملية جلْبِ المعاني العلمية، فمن الضروري أنه يتعارض مع الدلالة الحرفية ونظرا لكوننا في مُقابِلِ الشرح، فإنه وهو يقدّمُ عملية التفصيل فهو يقدّمُ الإخبار والحكْيِ وكذلك سرد المخفي من الوقائع كما أنه يقوم بعمليّة ملْءِ الفراغ الذي لا يخْتصُّ الشّعر في تقديم تفاصيله أو الاستغراق في تقديمه أو أنه يمارس من حين لآخر قلب ظاهر البيت تجاه مقصدية مخالفة لظاهره نحو ما وجدناه في هذا البيت الشعري من التضمن لثنائية الحقيقة والتمثيل.

في مقابل هذا نقدّمُ أنموذجا آخر من العرض في إيراد المعاني ضمن السياق الشعري، والذي يرد في بيت ضمن مفضّلية الشاعر "**مُتَمِّمُ بنُ نُوَيْرَةَ**" في هذا النحو مما يذهب إليه:

وَضَيْفٍ إِذَا أَرْغَى طُرُوقاً بَعِيرُهُ وَعَانٍ ثَوَى فِي القِدِّ حتّى تكنَّعا[xxv]

إن اللّافت لدى متلقّي هذا البيت أن السّياق الشعري لا يكفي في عملية الأخذ بالتوجُّه أو المقصدية التي يتوخاها الشاعر من صيغة :" **أَرْغَى بَعِيرَهُ**" وعليه فالشارح يسلك وجهة الأخذ بكشف علّة الإرغاء فيُشْعِرُ بها قصد بسطها في هيئة معلومة أنتجها فعل التجريب والتمرّس على علّة ترويض البعير على الإرْغَاء ممّا دعا "**الأَصْمَعِي**" في حاشية الشارح ليذهب إلى أن: الرّجل "إذا ضلّ أرغى بعيرَهُ، أي حَمَلهُ على الرُّغَاءِ، لتجِيبَهُ الإبل برُغَائها ، أو تنبَحُ لرُغَائِهِ الكِلابُ، فيقْصُد الحيّ"[xxvi]، مثل هذا العرض الشارح يدخل بمجمله ليؤدي كشفه لمعنى صيغة: "**أرغى بعيره**" والتي ترد في هيئة من التفصيل االشّبيه بالحكي أو النثر المُشابه لخطاب التجربة أو المعلومة ومثل هذا يقترب من بيت الشاعر"**عَوْفُ بنُالأَحْوَصِ**" في بيتٍ شعري له من مفضلّيته والذي ورد في هذا النحو :

وَمُسْتَنْبِحٍ يَخْشَى القَوَاءَ ودُونَهُ منَ اللَّيْلِ باباً ظُلْمَةً وستُورُهَا[xxvii]

ينصُّ الشَّارحُ بنفس الحجم من البسط الذي ذهب إليه **الأَصْمَعِيُّ** وذلك لتشابه صيغ البيتين من حيث المبنى وكذلك المعنى، فيذهب في شرحه له:" المُسْتَنْبِحُ: الذي يظلّ الطريق فينبح، لتُجِيبَهُ الكِلابُ، فيستدلَّ على الحيّ فيَقْصُدَهم، القَوَاءُ:

الخالِي من الأرضِ، أي يخشى أن يهْلَكَ فيه"[xxviii]إن سياق هذين البيتين يكاد يكون واحدا، إذ إن مدار الأمر يعود إلى ما تعارف عليه العرب من التجارب والخِبرة من الفعل الذي خبره الناس خشية الهلاك في مطلق الأرض من غير دليل ومثل هذا السياق يعرضه الشعر العربي القديم بوصفه سياقا جامعا وتداولا إخباريا وتواصلا إعلاميا ومن ثم **فالمُرْغِي** لبعيره أو **المُسْتَنْبِحُ** هو اقتران متطابق يعود أساسا إلى طبيعة السِّياق الخارجي بوصفه الجامع الذي

يصْـدُرُ عنـه مثـل هـذا الاسـتعمال المُتقـارِب مـن الصّـيَغ ومـا يقتضـي في ضـوء هـذا أيضـا « أن اللغـة مؤسسـة اجتماعية، رصيدها العلامات التي تعتبر أوعية تسكب فيها الجماعة البشرية تجارها، وكما أنها ظاهرة اجتماعية تتحرّك وتتفاعل مع أصحابها الذين يبدعون دلالاتها ومفاهيمها عبر صوغ ألفاظها حتى تتلاءم وتجارهم وحاجاتهم، كما أن هذه العلامات اللغوية التي تقوم بدورها في تحقيق التواصل بناء على المُواضعة والاتّفاق وتَنُوبُ بحضورها عن الأشياء المُتحدَّثِ عنها سواء أكانت مما يسهُلُ أو يصعب حضورُها»[xxix] ومما يبرّر ترسُّخَ هذه المواضعة، أن عملية تكرار مثل هذا المضمون في نمط من التشكُل المتقارب يبرِّرُ سياق المعايشة الجماعية لمثل هذه الظاهرة من السلوك لدفع أسباب الهلاك في مقابل غياب معالم الاهتداء في المطلق الأرضي ومن ثم فالذي قدمه الشارح أنه فجّر معنى صيغة "**مُسْتَنْبِح** " في صيغة نَصٍّ كان مَخْفيا، وذلك عبر صيغة الحَكْيِ المفصّل قصد الإحاطة بسياقها الكامل وكذلك الأمر بالنسبة لصيغة" **أَرْغَى بَعِيرَهُ**" ولذلك فإن مثل هذا العرض المفصّل، هو كشف لتلك المضامين الخَفِيّة التي لم يفصح عنها الشاعر بدقائقها لكون بلاغة الشعر العربي القديم تتعارض مع طُولِ الصِّيغ التي تُخْبِر عن الواقِعة مُطوّلا أو تلك التي تستغرق في الحكي عن تفاصيل المشهد، وبذا فالشارح هو من يُسهم في تقديم الخفي، وبذا فإنه المُفرزُ للغائب الذي لا يحيط بتفاصيله المُتلقيّ كونه نصّا يأتي في هيئة توسُّعٍ مركّب وهذا النمط من التوسّع تسهم في صنعه أخبار الرّواة المتواترة بالتدريج عن المُكوَّن السياقي للخطاب الشعري القديم، وتلك هي وظيفة الشارح في تقريب الخفيّ من التَّرَاكيب الذي انحدرت عنه الصيغ الشعرية.

المراجع:

[i] ينظر، الزبيدي(مُحَمَّد مرتضى)، تاج العروس من جواهر القاموس،مج/ 08، ص405...407. . مادة: علم . (فصل العين من باب الميم).

. (المعلومة: يستخدم هذا الاصطلاح غالبا فيما يتعلّق بالبيانات والحقائق التي نحصل عليها عن طريق الملاحظة أو التجربة أو التعليم والتي تتميّز عن الأفكار والآراء . وتدفّق هذه البيانات أو تنساب عن طريق قنوات أو مسالك الاتصال المختلفة .).

. بدوي (أحمد زكي)،معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية،مكتبة لبنان،بيروت،ط 1993،02، ص 218

[ii] ينظر، القرطاجني (حازم)، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح/ مُحَمَّد الحبيب بن الخوجة، ص 30.

[iii]. (كانت العرب إذا أرادت حربا ركبوا الإبل و قرنوا إليها الخيل لإراحتها).

. ينظر، المفضليات،ص38 .

[iv](خصفن يعني الإبل ، يقال خصفت الإبل الخيل أي تبعتها. و العرب يركبون الإبل و يقودون الخيل إذا أرادوا الغارة ، فإذا صاروا إلى موضع القتال ركبوا الخيل).

. ينظر، المفضليات،ص306

[v](سرت الغيوث : أمطرت ليلا ، و مطر الليل أحمد عند العرب من مطر النهار .).

..ينظر، المفضليات، ص 94

[vi]المصدر نفسه، ص 422.

[vii]المفضليات، ص 402.

[viii]المصدر نفسه، حاشية الشارح، ص 402

[ix] المصدر نفسه، ص 216.

[x]المصدر نفسه ، ص 35.

[xi]ينظر،المصدر نفسه،حاشية الشارح، ص 35.

[xii]المفضليات، ص 47.

[xiii]ينظر، المصدر نفسه، . حاشية الشارح . ص 47.

[*]. {**فشَارِبُون عليه من الحَمِيم.فشَارِبُون شُربَ الهِيم**}، سورة الواقعة، الآية : 56.

[*]الفصيد : شق العرق وفصد الناقة شق عرقها ليستخرج دمه فيشربه . الفصيد: دم كان يوضع في الجاهلية في معى من فصد عرق البعير ويشوى وكان أهل الجاهلية يأكلونه ويطعمونه للضيف في الأزمة .

. ينظر، ابن منظور، لسان العرب دار صادر بيروت ، . مادة/ فصد الجزء الثالث، ص336.

. ينظر، الزبيدي(مُحَمَّد مرتضى)، تاج العروس من جواهر القاموس، مج/02، ص 453، مادة/ فصد، (فصل الفاء من باب الدال).

[xiv]المفضليات، ص 381.

[xv]ينظر،المفضليات،حاشية الشارح،ص 381.

[xvi]ينظر، بلمليح (إدريس)، المختارات الشعرية وأجهزة تلقّيها عند العرب من خلال المفضّليات وحماسة أبي تمام، ص 273،272.

[xvii]الجُرجاني (عبد القاهر)، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تصحيح وتعليق/ مُحَمَّد رشيد رضا، ص 203،202.

[xviii]المفضليات،ص 428.

[xix] المصدر نفسه ، حاشية الشارح، ص 428.

[xx] المفضليات ، ص 107.

[xxi] المصدر نفسه ، حاشية الشارح، ص 107.

[xxii] بلمليح (إدريس)، المختارات الشعرية وأجهزة تلقّها عند العرب من خلال المفضلّيات وحماسة أبي تمام، ص 272.

[xxiii] بلمليح (إدريس)، المختارات الشعرية وأجهزة تلقّها عند العرب من خلال المفضلّيات وحماسة أبي تمام، ص 272.

[xxiv] المفضليات،حاشية الشارح، ص 107.

[xxv] المفضليات، ص 266.

[xxvi] المصدر نفسه ،. حاشية الشّارح . ص 266.

[xxvii] المصدر نفسه، ص 176.

[xxviii] المفضليات ، . حاشية الشارح . ص 176.

[xxix] حسام الدين (كريم زكي)، التحليل الدلالي ،. إجراءاته ومناهجه . دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2000، ج/01، ص 68.